

مختصر ابن كثير

58 - وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين .

59 - فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون .

يقول تعالى لئن لم يكن لهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى عليه السلام فأمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل وقاتل من فيها من العمالق الكفرة فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التيه عقوبة لهم كما ذكره تعالى في سورة المائدة ولهذا كان أصح القولين أن هذه البلدة هي (بيت المقدس) كما نص على ذلك غير واحد وقد قال الله تعالى حاكيا عن موسى : { يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا عنها آيات الله العظيم } وقال آخرون : هي (أريحا) وهذا بعيد لأنها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس لأريحا وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر حكاه الرازي في تفسيره والصحيح الأول أنها بيت المقدس وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب - باب البلد - (سجدا) أي شكرا لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر ورد بلدهم عليهم وإنقاذهم من التيه والضلال . قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس : { وادخلوا الباب سجدا } أي ركعا وقال الحسن البصري : أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم واستبعده الرازي وحكي عن بعضهم أن المراد ههنا بالسجود الخضوع لتعذر حمله على حقيقته وقال السدي : عن عبد الله بن مسعود : قيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا مقنعي رؤوسهم أي رافعي رؤوسهم خلاف ما أمروا .

وقوله تعالى : { وقولوا حطة } قال ابن عباس : مغفرة استغفروا وقال الضحاك عن ابن عباس { وقولوا حطة } قال : قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم وقال الحسن وقتادة : أي احطط عنا خطايانا { نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين } وقال : هذا جواب الأمر أي إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضاعفنا لكم الحسنات . وحاصل الأمر أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها ولهذا كان E يظهر عليه الخضوع جدا عند النصر كما روي أنه كان يوم الفتح (فتح مكة) داخلا إليها من الثنية العليا وأنه لخاضع لربه حتى أن عثونه ليمس مورك رحله شكرا لله على ذلك .

وقوله تعالى : { فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم } روي البخاري عن النبي صلى

اﻟﻌﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ : " ﻗﻴﻞ ﻟﺒﻨﻲ ﺇﺳﺮﺍﺋﻴﻞ ﺍﺩﺧﻠﻮﺍ ﺍﻟﺒﺎﺏ ﺳﺠﺪﺍ ﻭﻗﻮﻟﻮﺍ ﺣﻄﻪ ﻓﺪﺧﻠﻮﺍ ﻳﺰﺣﻔﻮﻥ ﻋﻠﻰ ﺃﺳﺘﺎﻫﻤﻢ ﻓﻴﺪﻟﻮﺍ ﻭﻗﺎﻟﻮﺍ ﺣﺒﻪ ﻓﻲ ﺷﻌﺮﻩ (ﺭﻭﺍﻩ ﺍﻟﺒﺨﺎﺭﻱ ﻋﻦ ﺃﺑﻲ ﻫﺮﻳﺮﻩ ﻣﺮﻓﻮﻋﺎ) " ﻭﻗﺎﻝ ﺍﻟﺜﻮﺭﻱ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﺍﺩﺧﻠﻮﺍ ﺍﻟﺒﺎﺏ ﺳﺠﺪﺍ } ﻗﺎﻝ : ﺭﻛﻌﺎ ﻣﻦ ﻳﺎﺏ ﺻﻐﻴﺮ ﻓﺪﺧﻠﻮﺍ ﻣﻦ ﻗﺒﻞ ﺃﺳﺘﺎﻫﻤﻢ ﻭﻗﺎﻟﻮﺍ ﺣﻨﻄﻪ ﻓﺬﻟﻚ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﻓﺒﺪﻝ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻇﻠﻤﻮﺍ ﻗﻮﻻ ﻏﻴﺮ ﺍﻟﺬﻱ ﻗﻴﻞ ﻟﻬﻢ } .

ﻭﺣﺎﺼﻞ ﻣﺎ ﺫﻛﺮﻩ ﺍﻟﻤﻔﺴﺮﻭﻥ ﻭﻣﺎ ﺩﻝ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻴﺎﻕ ﺃﻧﻬﻢ ﺑﺪﻟﻮﺍ ﺃﻣﺮ ﺍﻟﻠﻪ ﻣﻦ ﺍﻟﺨﺴﻮﻉ ﺑﺎﻟﻘﻮﻝ ﻭﺍﻟﻔﻌﻞ ﻓﺄﻣﺮﻭﺍ ﺃﻥ ﻳﺪﺧﻠﻮﺍ ﺳﺠﺪﺍ ﻓﺪﺧﻠﻮﺍ ﻳﺰﺣﻔﻮﻥ ﻋﻠﻰ ﺃﺳﺘﺎﻫﻤﻢ ﺭﺍﻓﻌﻲ ﺭﺋﻮﺳﻬﻢ ﻭﺃﻣﺮﻭﺍ ﺃﻥ ﻳﻘﻮﻟﻮﺍ ﺣﻄﻪ ﺃﻱ ﺍﺣﻄﻂ ﻋﻨﺎ ﺫﻧﻮﺑﻨﺎ ﻭﺧﻄﺎﻳﺎﻧﺎ ﻓﺎﺳﺘﻬﺰﺃﻭﺍ ﻓﻘﺎﻟﻮﺍ ﺣﻨﻄﻪ ﻓﻲ ﺷﻌﻴﺮﻩ ﻭﻫﺬﺍ ﻓﻲ ﻏﺎﻳﻪ ﻣﺎ ﻳﻜﻮﻥ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﺨﺎﻟﻔﻪ ﻭﺍﻟﻤﻌﺎﻧﺪﻩ ﻭﻟﻬﺬﺍ ﺃﻧﺰﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺑﻬﻢ ﺑﺄﺳﻪ ﻭﻋﺬﺍﺑﻪ ﺑﻔﺴﻘﻬﻢ ﻭﻫﻮ ﺧﺮﻭﺟﻬﻢ ﻋﻦ ﻁﺎﻋﺘﻪ ﻭﻟﻬﺬﺍ ﻗﺎﻝ : { ﻓﺄﻧﺰﻟﻨﺎ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻇﻠﻤﻮﺍ ﺭﺟﺰﺍ ﻣﻦ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ ﺑﻤﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻳﻔﺴﻘﻮﻥ } .

ﻭﻗﺎﻝ ﺍﻟﺸﺎﻛﻚ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ : ﻛﻞ ﺷﻴﺌﻲ ﻓﻲ ﻛﺘﺎﺏ ﺍﻟﻠﻪ ﻣﻦ ﺍﻟﺮﺟﺰ ﻳﻌﻨﻲ ﺑﻪ ﺍﻟﻌﺬﺍﺏ ﻭﻗﺎﻝ ﺃﺑﻮ ﺍﻟﻌﺎﻟﻴﻪ : ﺍﻟﺮﺟﺰ ﺍﻟﻐﻀﺐ ﻭﻗﺎﻝ ﺳﻌﻴﺪ ﺑﻦ ﺟﺒﻴﺮ : ﻫﻮ ﺍﻟﻄﺎﻋﻮﻥ ﻟﺤﺪﻳﺚ : " ﺍﻟﻄﺎﻋﻮﻥ ﺭﺟﺰ ﻋﺬﺍﺏ ﻋﺬﺏ ﺑﻪ ﻣﻦ ﻛﺎﻥ ﻗﺒﻠﻜﻢ (ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﺭﻭﺍﻩ ﺍﻟﻨﺴﺎﺋﻲ ﻭﺃﺼﻠﻪ ﻓﻲ ﺍﻟﺼﺤﻴﺢﻳﻦ) "